عزالدين ميهوبي

طاسيليا
tasilya

ترجمة وتقديم
أ . د . محمد جلاوي

2015

مقـدمـــة

يُسعدني بل يُشرفني أن أقدم ضمن هذا العمل المتواضع ترجمة أدبية لعمل شعري أنتجته قريحة إحدى القامات الأدبية البارزة على الساحة الإبداعية الوطنية والدولية بكل تميز واستحقاق، إنه الكاتب والشاعر عز الدين ميهوبي. هذا الأديب الفذ المتعدد المواهب، المعروف بتفاعله الخصب في مختلف الميادين، سواء منها الفنية والإبداعية أو المؤسساتية والوظيفية. فهو الإداري المحنك، والشاعر الموهوب، والروائي الضليع، والمسرحي المستنير، والسينمائي الكفء.

في رحاب كل هذه المواهب المتعددة، يبرز عز الدين ميهوبي كفارس مغوار يتحدى كل الصعاب، وينتصر في كل مرة بإبلاغ مشاريعه نهايتها المرجوة، تحت شعار حياتي " ممنوع الفشل". ففي "اعترافات أسكرام" كانت له "اعترافات" بينة عن ولوجه عالم الرواية بتفوق وتدبر، إذ تمكن من خلال بنية شخوصه وأحداثه من خلق عوالم تعج بالحركة والحيوية، وتكشف عن فسيفساء فنية موحية تجمع بين زمر من الأحداث والوقائع ذات صلة بالجوانب التاريخية والسياسية، وذات علاقة بالأبعاد الدينية والثقافية. وبموجب كل ذلك تمكن من الارتقاء بالفعل الإبداعي الروائي في مسار تجربته إلى مصاف العولمة الإيجابية الواعدة.

وكمنطلق تأسيسي لعوالمه الشعرية "كان البدء أوراس"، وفي هذا البدء كان الانعتاق، وكانت الخطوة الأولى نحو السفرة الدائمة على دروب التصوير والتخييل، وعلى مساحات المعاني والأفكار. والسفرة بمدارها الزمني أثمرت بميلاد الشاعر الموهوب عز الدين، هذا الشاعر الأصيل المستنطق لكل ما تزخر به النفس البشرية من تلونات شعورية، وما تبطنه من حقائق حياتية تمليها التحولات التي شهدتها بيئته بمفهومها الوطني والقومي، وتفرضها الظروف المستجدة في أوساط بيئته بمفهومها الكوني والإنساني.

فمنذ "البدء" توالت عوالمه الشعرية بالإخصاب والتنامي : فبعد وقفة الحيران أمام جدلية الصحراء والبحر، المفعمة بتساؤلات عن الموت والمصير في "النخلة والمجداف"، تأتي اللعنة المشفوعة بالغفران، لعنة العشرية السوداء المصبوغة بالدم والفجيعة، والوطن المتيم ما كان يرتجي من أبنائه غير الغفران. والشاعر الموهوب في مثل هذه الظروف العصيبة "يغدو الوطن الموشوم في قلبه عبادة، بل أكبر من أخطائه وزيادة ... لأن الوطن، بكل بساطة، أسمى من هذا الزمن".

مخيلة الشاعر ظلت تتصقل باستمرار، لتنتج المزيد من اللوحات الشعرية الناطقة بالحسن والجمال، والكاشفة عن سيل متدفق من الأفكار والرؤى. فبـ "ملصقاته" تمكن من التأريخ شعرا لفترة التعددية السياسية بالجزائر وما صاحبها من تغيرات جوهرية على الصعيد السياسي والاجتماعي والثقافي.كما نقل في "قرابينه المقدمة لميلاد الفجر"، قناعة راسخة أن لا حرّية دون قرابين، هذا الدرب الصعب والشاق محتوم على كل الشعوب المناضلة، وتقع المقاومة الفلسطينية في الطليعة.

وفي انتظار المزيد من اللوحات الشعرية، سفرة الشاعر الموهوب أفضت إلى "أسفار الملائكة"، هذه الأسفار التي أنتجت نصوصا شعرية موغلة في الوصف الفني الدقيق، خلدت أسماء لعدد من الشعراء والكتاب والمبدعين العالميين، وبثت الحياة في حشد معتبر من الأماكن، والمدن، والشوارع والمقاهي، وكأن الشاعر بذلك يأبى إلا أن "يرفع لكلّ اسم نصا شعريا، ولكل مكان إفضاءة إبداعية خاصة به، ليكون ذلك شهادة أخرى على أنّ الشاعر لا ينسى..."، ولهذا الإصدار الأخير من عمر تجربته الشعرية موقع خاص في إحساساته ومشاعره، كونه يمثل بالنسبة له "تجربة اعتراف بالآخرين الذين حدث وأن ارتبطوا به أو ارتبط بهم بشكل أو بآخر".

أفكار ورؤى، تصورات وأخيلة تجسدت بشكل فني هادف في عدد آخر من أعماله الإبداعية، فمن الأوبرات الناطقة بـ "مواويل الوطن" و ملاحم "الجزائر" و "سيتيفيس" إلى أعمال

مسرحية كاشفة عن أبعاد تاريخية وحضارية كأحداث "8 ماي 1945" ومسرحية "زبانا"، ومسرحية "ماسينيسا". ومن تأليف الأغاني والأناشيد المخلدة لكل أمجاد الجزائر وأوفيائها كنشيد "أوفياء" ونشيد "الآفاق" وأغنية "أمجاد"، إلى انتاجات سينمائية شارك من خلالها في بعث الماضي المجيد للأمة الجزائرية لاسيما إنتاجه لمسلسل تلفزيوني تاريخي موسوم بـ "عذراء الجبل" تناول فيه المسار الحياتي والنضالي لبطلة جرجرة لاله فاطمة نسومر.

وضمن هذا المسار الإبداعي المتعدد المواهب، يبقى على الأديب عز الدين ميهوبي استكمال أمنية له غير محققة، متمثلة في العودة إلى خوض تجربة الفنون الجميلة، مع تأسيس لمعرض تشكيلي، تمتزج فيه كل الفنون. والأمنية محققة لا محالة، لاسيما أن صاحب الأمنية رجل طموح لا يؤمن بالفشل، ولا ينهزم أمام الصعاب، ولقد "قام منذ مدة باقتناء كل مستلزمات الرسم، ريشة ولوحة وألوان".

وفي هذه اللحظة التي أكتب فيها هذا التقديم، يرتقي شاعرنا المبدع إلى منصب وزير الثقافة، لتدرج هذه النقلة ضمن حركيته الدؤوبة والطموحة لتحقيق الأسمى في مشواره الحياتي، خدمة للبلاد والعباد، ونحن نتوسم في شخصه فأل سعد لتطوير هذا القطاع الهام، عن طريق تفعيل الفعل الثقافي تفعيلا واعيا، يتعانق فيه التراثي بالحداثي والوطني بالعالمي، مع تأسيس لوزارة تجمع بين كل الثقافات، وتتجاوز الحدود الإيديولوجية الضيقة، وتحلق بمشاريعها في آفاق إنسانية رحبة.

- وإلى جانب ما تم ذكره، يسعدني أيضا أن أقدم ضمن هذا العمل المتواضع ترجمة كاملة لديوان شعري من اللغة العربية إلى اللغة الأمازيغية، وأنا كلي إيمان أن الترجمة في أية لغة كانت، تشكل معابر ثقافية أساسية يتم من خلالها التواصل المعرفي بين مختلف الأقوام والأمم، وتسهل عملية التفاعل بينها، وهي حسب أقوال الدارسين تعد "بمثابة البوابة التي تعبر منها الذات

الثقافية إلى الآخر". ونظرا لدورها الريادي في ترحيل المعارف في سفرية دائمة، عادة ما تشبه بـ "السفينة التي تنقل الحمولات المعرفية المتنوعة من مرفأ إلى آخر".

وتصدق هذه الأقوال بكيفية أكيدة حين يتعلق الأمر بترجمة بين لغتين لأمة واحدة، تجمع بينهما أواصر القرابة الثقافية والاجتماعية والتاريخية والحضارية منذ أمد بعيد، وتشكلان حجر الزاوية في معمار الهوية الوطنية، ونعني بهما اللغة العربية واللغة الأمازيغية. فمن المفروض أن يكون الفعل الترجمي بين اللغتين خصبا وثريا، كونهما تعايشتا ما يقارب 14 قرنا. غير أن الملاحظ هو أن حركة الترجمة بين هاتين اللغتين لا تزال في مراحلها الأولى، والأعمال المترجمة إلى حد اليوم تعد قليلة جدا، وقد تعد على أطراف الأصابع.

ولعل من الأسباب الكامنة وراء ذلك، ما يتصل بوضعية اللغة الأمازيغية في حد ذاتها، إذ ظلت لقرون خلت لغة شفوية بالدرجة الأولى، تتقاسمها العديد من اللهجات، موزعة على مساحات جغرافية واسعة، تستغرق الشمال الإفريقي وقد تتعداه، ولم تتشكل كلغة كتابية بالمفهوم العلمي إلا بعد الانفتاح الديمقراطي الذي عاشته الجزائر خلال العشرية الأخيرة من القرن العشرين، حيث تم الاعتراف بها كلغة رسمية، وكعنصر أساسي من عناصر الهوية الوطنية.

وانطلاقا من مطلع القرن الواحد والعشرين(21) بدأ الفعل الترجمي بين هاتين اللغتين يتقوى بوتيرة متزايدة بأعمال متنوعة منجزة ضمن منظومة البحث الجامعي، أو ضمن نشاطات الهيئات الحكومية الرسمية الموازية، كالمحافظة السامية للأمازيغية. وترجمتنا لديوان "طاسيليا" إلى اللغة الأمازيغية تندرج ضمن المجهودات التي تبذلها المحافظة في سبيل النهوض باللغة الأمازيغية، إيمانا منها أن الترجمة من/وإلى هذه اللغة تعد إحدى الطرق الفعالة الواجب الإحتذاء بها من أجل تحقيق القفزة

النوعية المنتظرة في مجال تطوير الأمازيغية، بكل ما يتيحه الحوار الترجمي بين اللغات من مزايا جمة تبرز على مستوى المفاهيم والأساليب والرؤى والأفكار.

وترجمتنا لـ "طاسيليا" إلى اللغة الأمازيغيةلم تجانبها تلك الصعاب التي يصادفها أي مترجم للنص الشعري، صعاب تتعلق في الغالب بالجوانب اللغوية والأدبية والجمالية والثقافية المجسدة بالخصوص في نص الانطلاق. فاللغة الشعرية في نظر الدارسين تنأى كثير عن اللغة النثرية، كونها موحية، مفعمة بالنبض، تقوم على عمق المعاني وغور الدلالات، تبلغ حد الغموض والإبهام. يفسر أدونيس هذه الميزة الإبداعية للنص المنظوم بقوله : "إن لغة الشعر تجاوز للظواهر ومواجهة للحقيقة الباطنة في شيء ما أو في العالم كله. فعلى اللغة أن تحيد عن معناها العادي ... إن لغة الشعر هي لغة الإشارة في حين أن اللغة العادية هي لغة الإيضاح".

كل هذه المميزات الإبداعية بمفهومها الحداثي، تجسدت بشكل فني فاعل في الأعمال الشعرية لعز الدين ميهوبي. فمجمل النصوص المشكلة لديوانه الشعري "طاسيليا" وردت مفعمة بالقيم الجمالية الإبداعية شكلا ومضمونا، هذه القيم تجسدت بطريقة مميزة في حقوله التصويرية والتعبيرية، وأكسبت النص الشعري في تجربته غورا في الدلالات، وعمقا في الأفكار، وبعدا عن التقريرية المباشرة. فالمنظومة التعبيرية في نصوص "طاسيليا" غالبا ما ترد محتجبة المعاني، توحي ولا تصرّح، تومئ ولا تبوح، إذ يتأسس نسيجها الفني على رمزية موحية، تستحضر معطيات تراثية وتاريخية ضاربة في القدم، وتعيد تشكيلها في حلة فنية جديدة، وتلقيها على مساحات الحاضر، قصد استنطاق أواصر الانتماء إلى ذلك الماضي الثقافي المشترك.

أمام هذه اللغة الشعرية المميزة التي يقوم عليها الفعل الإبداعي في ديوان "طاسيليا"، واجهتنا صعاب جمة أثناء إنجاز هذا العمل الترجمي، صعاب متشعبة الأوجه: منها ما يتصل باللغة

أسلوبا وتركيبا وألفاظا وصورا، ومنها ما يتعلق بالإيقاع والأوزان كالموسيقى الداخلية والخارجية والقوافي والبناء الشعري، ومنها ما له صلة بالخلفية التاريخية والثقافية المشكلة للنسيج الفني للنص الشعري ، هذه الخلفية المقدمة عن طريق تقنيات تناصية تستدعي ملكة معرفية لبلوغ كنهها.

طبعا لا يمكن في مثل هذه العجالة أن نكشف بشكل مفصل عن كل هذه الصعاب، بل نكتفي بالإشارة إلى البعض منها: نذكر على سبيل المثال ما يتصل بالقاموس اللغوي الموظف في النسيج الفني لأشعار الديوان، إذ يتضح بجلاء أن للشاعر ملكة لغوية قوية ومميزة، أثرت بشكل عميق منظومته اللفظية المشكلة لحقوله التعبيرية. ففي كثير من الأحيان يستوقفنا البعض من هذه الألفاظ، مشكلا عقبة أمام سيرورة الفعل الترجمي، وذلك لغياب مدلولاتها القاموسية الأصلية حينا، وتلون معانيها الوظيفية أحيانا أخرى حسب ما يمليه السياق الفني للجمل الشعرية. ومن هذا الكم اللفظي الموسوم بالغور الدلالي نذكر النماذج التالية: ملك**"الماءات"**، أزهار "**الليلكْ**"، عذابات"**الأطيار**"، "**تنبجس**" الأحداق، "**شبق**" الأشياء، "**التانيت**" الأزرق، "**ضفيرة**" عاشقة، "**أسداف**" الرؤيا ، "**مديته**" "**المعقوفة**" في الفلوات، أنا "**اليأتيك**" ... .

يضاف إلى هذا الانتقاء اللفظي المستعصي الدلالة، ما صادفناه من ألفاظ قد تكون أحيانا بسيطة ومفهومة الدلالة في قاموس اللغة العربية، إلا أن ترجمتها إلى اللغة الأمازيغية يطرح غموضا ترجميا بينا. فإذا أخذنا على سبيل المثال لفظة "الشفتين": "**تنام وفي شفتيها بقايا عطر**" نجدها تحمل دلالات حسية ناطقة بالحسن والجمال، وتجسد بعدا شاعريا في النسيج الفني للقصيدة، غير أن ترجمتها إلى الأمازيغية بـ لفظة "إشنفرن–Icenfuren أو ثشنفورين – Ticenfurin": « Ad tgen, s tsigar n leɛîer ùef yicenfuren-is » لا تنقل تلك

الدلالة الشاعرية المألوفة في بعديها الحسي والجمالي، بل قد توحي بالنقيض، وتكشف ضمن سياقها الترجمي عن معاني النقد الهجائي الساخر.

كما أن لفظة "الأزرق" التي تكرر بها الحضور في عدد كبير من نصوص الديوان، والتي تقوم على دلالة قاموسية واضحة، نجد ترجمتها إلى اللغة الأمازيغية تطرح إشكالات عدة، فهي غير دقيقة في استعمالاتها، إذ يتقاسمها المعادل المعنوي المتناقض على مستويات التوظيف الدلالي في مختلف الأنسجة النصية، فقد يطلق عليها "أزيـْزاوْ – Azegzaw "، أزرْوال – Aéerwal " أزرْقاق – Azerqaq"، "أمدادي – Amidadi". ومن خلال هذا الحشد اللفظي، يتجلى ما فيه من خلط بين مختلف الألوان وتداخلها المتناقض في اللغة الأمازيغية، خاصة بين اللونين: الأخضر والأزرق. ونشير إلى أن القاموس اللغوي الأمازيغي لايزال في طور التأسيس، ويكشف في الوقت الراهن عن عجز كبير في تغطية المنظومة اللفظية الضرورية في مجالات عدة، لاسيما منها المجالات العلمية والمعرفية والأدبية.

ومن بين الصعاب التي جابهتنا أيضا أثناء إنجاز هذا العمل الترجمي، ما يتصل بميزة الغموض الفنيّ، المسجل بكثافة في إبداعات الشاعر عز الدين ميهوبي، لا سيما ما يظهر في ديوانه الشعري "طاسيليا". هذا الغموض الذي تقف وراءه العديد من الدواعي والأسباب، خاصة منها اللجوء إلى التعبير عن طريق الصور الإيحائية المعبأة بالرموز، مع تحطيم مقصود للأنساق الدلالية المتعارف عليها في قوانين اللغة، بإهمال وسائل الربط ضمن وبين الجمل الشعرية.

كما لعبت الثقافة الواسعة للشاعر عز الدين ميهوبي دورا أساسيا في إرساء تقليد الغموض الفني في تجربته الشعرية، هذا التقليد المعبر عنه عن طريق تقنيات تناصية عدة، تمكن من خلالها من استحضار مادة معرفية خصبة، مصدرها التراث المحلي من جهة، والثقافة العالمية

والإنسانية من جهة أخرى. وهذه المادة المستحضرة كانت له بمثابة لقاح مثمر لمختلف إبداعاته الشعرية على مدار عشريات من الزمن، الشيء الذي أكسبها عمقا دلاليا واضحا، وسعة في الرؤى والأفكار.

ويصدق هذا الوصف بوجه الخصوص على أشعار "طاسيليا"، التي وردت معبأة بمعطيات تناصية كثيفة، مستحضرة من عمق التاريخ وصلب الثقافة الإنسانية. فالمتلقي لهذه النصوص الشعرية أو القائم على ترجمتها، يجد نفسه مجبرا على استحضار تلك المادة التناصية المحذوفة، والمشار إليها بمفاتيح فنية في سياق الجمل الشعرية، لبلوغ كنهها الدلالي المستتر.

وهذه النصوص المحذوفة بكامل أبعادها الثقافية والتاريخية، شكلت عقبة أمام عملنا الترجمي، إذ كيف لنا أن نترجم ما لم يعبر عنه باللفظ الصريح، وكيف لنا أن ندير تلك المفاتيح الفنية في الاتجاه الصحيح، لتنفتح أمامنا المنافذ المؤدية إلى تلك المواد التناصية المجسدة باحتجاب في نص الانطلاق. فقد ورد في ديوان "طاسيليا" العديد من الجمل الشعرية والسياقات التصويريةّ، يقوم نسيجها الفني على مثل هذا الغموض التناصي، والتي استدعت منا البحث عن الأوعية الثقافية والتاريخية التي اغترف منها الشاعر في لحظات إبداعه. فمتى أُضْمِرت مدائن "**نوميديا**" مثل "**قرابين التانيت الأزرق**"؟، وكيف لُعِق "**شيح الفتنة في طاهاتْ**"؟ ومن يكون "**محارب غيلان الجيتولْ**"؟ وما قصة "**نوارس هيبّون البيضاءْ**"؟ إلى غيرها من التساؤلات التي تثيرها مثل هذه الجمل الشعرية، والأجوبة تكمن طبعا، وراء تلك الخلفيات التناصية المحتجبة.

وعلى العموم حاولنا الإفلات من هذه الصعاب في عملنا الترجمي، بانتهاج نهج التكافؤ الدلالي بين نص الانطلاق ونص الوصول، هو ما اقتضى منا الفهم الصحيح للنص الأصلي والانعتاق إلى حد ما من شكله اللفظي، بالتركيز على ترجمة المعاني والأفكار والأحاسيس، وشددنا

الحرص على أن تكون الترجمة قريبة من النبض الفني ، وناقلة للجوانب الجمالية للنص الشعري، سواء من حيث الصور والأخيلة أو على مستوى الإيقاع والأوزن والقوافي.

- إلى جانب ما تم ذكره، يسعدني أيضا أن أتولى ترجمة أشعار لديوان مميز يتمحور موضوعها الرئيسي حول أسطورة قديمة نابعة من عمق التراث الإنساني لشمال إفريقيا، تقوم على معادلة الخصب والنماء، المرتبطة بدورة الحياة الفلاحية والاقتصادية للشعوب القديمة. صاغها الشاعر عز الدين ميهوبي في ديوانه الشعري تحت عنوان "طاسيليا" ، وأطلق عليها السكان الأصليون لشمال إفريقيا تسمية "تسليث ن ونزار – Tislit n wenéar ".

هذه الأسطورة تدخل ضمن الميثولوجيا الأمازيغية القديمة، فسر بها الإنسان الأول فعل تساقط الأمطار كظاهرة من ظواهر الطبيعة، وعلل بخلفياتها مصادر الرزق والخيرات. وظلت هذه الأسطورة ترتبط في ذهنية المجتمعات الأمازيغية القديمة بالمطر والخصب والاخضرار، وبالحب في شموليته وأبديته، ويُنشد الإله أنزار، بممارسة طقوسية مبنية على مفاتن الأنوثة، كلما حل الجدب والقحط والجفاف بالبلاد.

وفي تناولنا لهذه الأسطورة في إحدى كتاباتنا، أشرنا إلى أن ربط جدب الأرض وقحطها بنفور الآلهة وغضبها ليس حكرا على أسطورة أنزار، بل هي ظاهرة أسطورية عرفتها مختلف المجتمعات منذ أقدم العهود. فعند البابليين كان إله الخصب "تموز"، وعند المصريين القدامى كان "أوزيريس"، وعند الفنيقيين والإغريق كان الإله "أدونيس"، وهي كلها أساطير ذات دلالة دورية في النماء والخصب، حيث تتحكم هذه الآلهة بدورة الحياة في الطبيعة، وما ينجم عنها من نمو الزرع وكثرة المحاصيل ودفق في المياه.

ومن الملاحظ أن قوة هذه الآلهة تقوم في أساسها على عنصر الحب والجمال، إذ ترتبط في مجملها بـ "الهو المعشوق". فمثلا كان الإله البابلي تموز يستلهم قوته من قرينته "عشتار"، كما ارتبط أدونيس بـ "أفروديت" مرة باعتباره إغريقيا، وبـ "فينوس" مرة أخرى باعتباره رومانيا. وقد جسدت هذه القرينات معنى الخصب والعطاء في مظاهر الطبيعة المختلفة عبر علاقات وسلوكات دالة على عمق الجدلية القائمة بين مختلف القوى المتصارعة: جبروت الإله العاشق والمالك لزمام القوة والنفوذ، رب الغيث ومصدر الرزق والخيرات، وقوة العروس، الهازمة لكبرياء المتجبر، والمتمثلة في العشق والحسن الأنثوي الفتان.

فمثل هذه الأساطير شكلت منذ القدم روح الشعر وهاجسه الدائم، وظلت ملهم الشعراء على مر الزمان، فقد كان هناك باستمرار توافق بين الشعر والأسطورة، سواء من حيث النشأة والوسيلة أو من حيث الغايات والأهداف، أضف إلى ذلك ما تتضمنه الأسطورة من جذور شعبية رائجة، ولهذا كان توظيفها في الشعر بهدف تقريب المسافة بين الشاعر وجمهوره عبر رموز مشتركة، وتنحدر إليه من أحقاب سحيقة يلفها السحر والغموض، فتشكل لديه مرفأ روحيا موصولا بالأجداد.

لقد أقر العديد من الشعراء المعاصرين من الذين ولجوا عوالم الأساطير القديمة، بمجمل تلك المزايا الفنية الناجمة عن هذه العلاقة الوثقى بين الشعر والأسطورة، ولنا في أعمال الشاعر عز الدين ميهوبي النموذج الأمثل لذلك، إذ نجده يقدم في إحدى تصريحاته تعليلات موضوعية عن مراميه من اختراق عوالم أسطورة "ثسليث ن ونزار – Tislit n wenéar "، وتوظيفها تناصيا في متن ديوانه الشعري "طاسيليا"، قائلا : "وقد رأيت أن أقوم بعملية اختراق لهذه الأسطورة الجميلة، ذات الدلالات القوية في علاقة الإنسان بالماء، وحاولت أن أبني نصّا شعريا بلغة مسرحية، وغنائية، ورسم

لوحات درامية، يختلط فيها منطق العرافة ورؤية الكاهن ومكابدات غيلاس العاشق، وسطوة أنزار المعتد بقوته، وتضحية طاسيليا المرأة التي أنقذت أهلها، وانتصار الدمعة في حربها مع الجبروت".

وبالفعل، فقد تمكن الشاعر من خلال هذا التوظيف التناصي للأسطورة من تأسيس جسور التواصل بينه وبين جمهوره المتلقي، عبر أنسجة ورموز، اغترفها من الوعاء الثقافي المشترك، المنقول عن السلف التليد. وهو بهذه الجسور الموصولة بالماضي، توصل إلى تشكيل صورة حية تعج بالحركة عن بلاد نوميديا، بلاد تيموزغا القديمة. صورة تتقاسمها العديد من القوى المتصارعة : قوة الإله أنزار مالك الماءات والبرق والسحاب، تثابر غيلاس المحارب صاحب الناي ونبضات القلب الولهان، ثبات طاسيليا وصمودها، بمفعول سحر جمالها الفتان. لينتهي الصراع بفوز الدمعة والناي، وانهزام جبروت الماءات، لترقص طاسيليا في النهاية على مساحات نوميديا، معلنة عن رمزية الانتصار لجزائر العز والشموخ.

بنفس هذه الدرجة من التوظيف التناصي الناجح لأسطورة أنزار في ديوان "طاسيليا، نجد شاعرا أخرا من نفس هذا الوعاء الثقافي المشترك، يوظف نفس هذه الأسطورة في إحدى قصائده، الموسومة بـ « ظلمتني وما أنا بظالم – Tesvelmev-iyi ur velmeù » توظيفا فنيا موفقا، وهو الشاعر القبائلي المتميز لونيس أيت منقلات. هذا الشاعر الذي تمكن بدوره من استنساخ عدة عناصر تناصية من الأجواء العامة لأسطورة أنزار، ووظفها كمقومات فنية في بناء خطابه الشعري، المبني أساسا على تلك القوى المتجاذبة: قوة "الأنا العاشق" المخاطِب، وقوة "الهو المعشوق" المخاطَب. ويرتقي الشاعر بـ "الأنا، nek" إلى مقام الإله أنزار، ويضفي على "الهو، Neppat" خصوصيات العروس الأسطوري المرتقب، والشاعر الإله يستلهم قواه الخارقة من شظايا حبهما

الملتهب « Lemêiba di lkanun »، إذ به ومن أجله يرتقي أعالي السماء، ليصبح غيما يمطر غيثا، يرضي به مطلب الحبيبة ورغبتها، وفي ذلك استنساخ واضح لألوهية أنزار وشخصيته.

- وفي ختام هذا التقديم المختصر، أود الإدلاء من جديد بسعادتي وتشرفي بإنجاز هذه الترجمة الأدبية لأشعار ديوان "طاسيليا" لمؤلفها عز الدين ميهوبي، هذا الأديب المتعدد المواهب، والحائز على تميز وفرادة في أوساط الساحة الإبداعية الوطنية والدولية. أملي أن يكون هذا العمل الترجمي أكثر قربا في نقل النبض الفني لنصوصه الشعرية وجمالياتها، وأقل خيانة لأسسه الإبداعية شكلا ومحتوى، لأن الأمر يتعلق بترجمة الشعر، وذلك يعني أننا أمام نقل أغوار الذات المبدعة، بكل ما تبطنه من أحاسيس وعواطف. هذه الذات التي لا تمثل بالطبع معادلة رياضية أو أشكالا هندسية مادية تنساق بالسهولة نحو إعادة تشكيلها، بل هي تجربة ناطقة بروح النعومة واللطف، وكاشفة عن تموجات وجدانية وانفعالية متلونة، يصعب رسمها على مساحات الألفاظ والعبارات.

فبالرغم من صعوبة هذه المهمة، فقد رفعنا الرهان، وقدمنا في لغة سي محند أو محند تحفا شعرية رائعة، مبدعة في لغة أبي الطيب المتنبي، ليندرج كل ذلك ضمن خطية التحولات الثقافية الموعودة والواعدة، في جزائر اليوم التي تؤمن بأن إسمنت وحدتها تكمن في تعددها اللغوي وتنوعها الثقافي بكل ما يجسدانه من أبعاد تاريخية وحضارية أصيلة.

جـــــلاوي محمـــــد
أستـــاذ التعليـــم العـــالي
عميد كلية الآداب واللغات
جامعـــــــة البويـــــرة